بها اي احضرنا هاء المجازي بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلا
من امتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول له اتنكر من هذا شيئا
فيقول لا يا رب فيقول الله الك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم
عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله عبده ورسوله فيقول احضر
وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة
في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء اخرجه الترمذي السجل الكتاب الكبير
واصله من السجل انه يجمع احكاما والبطاقة ورقة صغيرة وهو ما يجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة
قلت في الحديث دليل على ان صحائف الاعمال توزن لان الاعمال تتجسد جواهر فتوزن والله تعالى اعلم قوله تعالى
وكفى بنا حاسبين قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لان من حسب شيئا علمه وحفظه والغرض منه التحذير
فان المحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يمكن ان يشتبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل
ان يكون باشد الخوف منه ويروى عن الشبلي انه روي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال حاسبونا فدققوا
ثم منوا فاعتقوا وكذا كل مالك بالمماليك يرفقوا قوله عز وجل ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان يعني الكتاب المفرق
بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصر على الاعداء فعلى هذا يكون وضياء يعني التوراة ومن قال الفرقان
هو التوراة جعل الواو زائدة والمعنى واتينا موسى التوراة ضياء وذكرا للمتقين يعني يتذكرون بمواعظه ويعملون بما
فيه قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافونه ولا يرونه وقيل يخافونه في الخلوات اذا غابوا عن اعين الناس وهم من
الساعة مشفقون اي خائفون وهذا ذكر مبارك انزلناه اي كما آتينا موسى الفرقان فهذا ذكر مبارك لمن امن به يتبرك
به ويطلب منه الخير افانتم يا اهل مكة له منكرون اي جاحدون قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده اي صلاحه وهداه
من قبل اي من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير وكنا به عالمين
اي انه من اهل الهداية والنبوة اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل يعني صور الاصنام التي انتم لها عاكفون اي
مقيمون على عبادتها قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فاقتدينا بهم قال يعني ابراهيم لقد كنتم انتم واباؤكم
في ضلال مبين يعني خطأ بين بعبادتكم اياها قالوا اجئتنا بالحق اي بالجد ام انت من اللاعبين يعنون اجاد انت
ام لاعب فيما تقول قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي خلقهن وانا على ذلكم من الشاهدين
اي على انه الاله الذي يستحق العبادة وقيل على انه خالق السموات والارض وتالله لاكيدن اصنامكم
اي لامكرن بها لكم بعد ان تولوا مدبرين اي منطلقين الى عيدكم قيل انما قال ابراهيم هذا القول سرا في نفسه ولم
يسمع ذلك الا رجل واحد من قومه فافشاه عليه وهو القائل انا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد
فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم يرجعون الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال
ابو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا اعجبك ديننا فخرج ابراهيم معهم فلما كان ببعض الطريق القى
نفسه الى الارض وقال اني سقيم اشتكي رجلي فتركوه ومضوا نادى في اخرهم وقد بقي ضعفاء الناس وتالله
لاكيدن اصنامكم فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الالهة وهن في بهو عظيم ومستقبل باب
البهو صنم عظيم الى جنبه صنم اصغر منه والاصنام بعضها الى جنب بعض كل صنم الذي يليه اصغر منه كذلك
الى باب البهو واذا هم قد جعلوا بين ايديهم طعاما اي الالهة وقالوا اذا رجعنا وقد بركت الالهة عليه
اكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تاكلون فلم
يجيبوه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفاس في يده حتى اذا لم يبق الا الصنم

الاعظم

الاعظم علق الفاس في عنقه وقيل في يده ثم خرج فذلك قوله تعالى فجعلهم جذاذا اي كسرا وقطعا الا كبيرا
لهم اي تركه ولم يكسره ووضع الفاس في عنقه وقيل في يده وكانت اثنان وسبعون صنما بعضها من ذهب
وبعضها من فضة وبعضها من حديد ورصاص ونحاس وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا
بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان وقوله تعالى لعلهم اليه يرجعون قيل معناه يرجعون الى ابراهيم والى
دينه والى ما يدعوهم اليه اذا علموا ضعف الالهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم فيسالونه ما لهؤلاء
مكسورين وانت صحيح والفاس في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت الهتهم راوا اصنامهم مكسرة قالوا من
فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اي في تكسيرها واجترائه عليها قالوا سمعنا فتى يذكرهم اي يعيبهم ويسبهم
يقال له ابراهيم اي هو الذي نظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه قالوا فاتوا به على اعين
الناس اي جيئوا به ظاهرا بمرأى من الناس قاله نمرود لعلهم يشهدون اي عليه بانه فعل الذي ذكروه ان ياخذوه
بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما اتوا به قالوا له أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم
قال يعني ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب اذ تعبدون معه هذه الصغار وهو اكبر منها فكسرهن واراد ابراهيم
بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك قوله فاسالوهم ان كانوا ينطقون اي حتى يخبروا من فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا
على النطق وفي ضمنه ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فاراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه انا فعلت ذلك
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات
الله قوله اني سقيم اي ساسقم وقيل سقيم القلب مغتم بضلالتكم وقوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق على خبره
شرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه اختي اي في الدين والايمان
قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فكل هذه الالفاظ صدق في نفسها **فان قلت** قد سماها النبي
صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته
قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما
كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام منها ومؤاخذته بها قال البغوي
وهذه التاويلات لنفي الكذب عن ابراهيم والاول هو الاولى للحديث فيه ويجوز ان الله اذن له في ذلك
لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف حتى امر مناديه فقال ايتها العير انكم لسارقون
ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين الرازي وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع انه لو جاز ان يكذب
لمصلحة وباذن الله تعالى فيه فليجر هذا الاحتمال في كل ما اخبر الانبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع
ويطرق التهمة الى كلها وهذا الحديث محمول على المعاريض فان فيها مندوحة عن الكذب قوله تعالى فرجعوا الى
انفسهم اي تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا ما نراه الا كما قال انكم انتم الظالمون يعني تفكروا وتعلموا
بعبادتهم قال اهل التفسير اجرى الله الحق على السنتهم في القول الاول ذموا اقرارهم من لم يتكلم وقيل معناه انتم الظالمون
لهذا الرجل في سؤالكم اياه وهذه الهتكم حاضرة فاسالوها ثم نكسوا على رؤسهم قال اهل التفسير اجرى الله الحق على
السنتهم في القول الاول وهو اقرارهم على انفسهم بالظلم ثم ادركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاول وهو قوله ثم
نكسوا على رؤسهم اي ردوا الى الكفر وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف نسالهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم
عليهم قال لهم افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا اي ان عبدتموه ولا يضركم ان تركتم عبادته اف لكم اي نتنا
لكم ولما تعبدون من دون الله والمعنى انه حقرهم وحقر عبادتهم افلا تعقلون اي ليس لكم عقل تعلمون به
ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة فلما الزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا الهتكم قال ابن عمر الذي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)